المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصلي

–دراسة وصفية تحليلية–

Popular Beliefs Related to Children in Mosuli Folk Tradition:

-A Descriptive Analytical Study–

نجلاء عادل حامد
أستاذ مساعد
د. خليل محمد الخالدي
أستاذ دكتور
جامعة الموصل – كلية الآداب – قسم علم الاجتماع

Naglaa Adel Hamed
Assistant Professor
Dr. Khalil Muhammad Al-Khalidi
Professor
University of Mosul - College of Arts - Department of Sociology

Najlaa.arp44@student.uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/١١/١٤ **تاريخ القبول** ٢٠٢١/١٢/٢٩

الكلمات المفتاحية: المعتقدات الشعبية– الطفل– المجتمع .

Keywords: popular beliefs– children- society

الملخص

تتناول هذه الدراسة ؛ المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصلي، والتي قصد الباحثان من خلال هذا التناول التعرف على أهم تلك المعتقدات الشعبية، وفهم الحكمة التي تدعو أفراد أي مجتمع ؛ وخاصة افراد المجتمع الموصلي، اللجوء إلى مثل هذه المعتقدات الشعبية .

تكمن أهمية هذه الدراسة في قيمة المعتقدات الشعبية، لكونها نوعا من الابداع الفكري الغنية والزاخرة بمعانيها وهي نبض الجماعة يصنعها المجتمع وتتجدد حية كحياة الشعب. وتزداد أهمية هذه الدراسة مع وجود ندرة شديدة في الدراسات الفولكلورية بدراسة مختلف عناصر التراث الشعبي، والثقافة الشعبية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي للتعرف على أبرز ملامح الظاهرة قيد الدراسة.

Abstract

This study deals with; Folk beliefs related to the child in the Mosul folklore, which the researchers intended through this approach to identify the most important of those popular beliefs, and to understand the wisdom that calls the members of any society; Especially members of the Mosuli community, resort to such popular beliefs

The importance of this study lies in the value of popular beliefs, as they are a kind of intellectual creativity rich and full of meanings. The importance of this study increases with the severe scarcity of folklore studies by studying the various elements of folklore and popular culture

The study relied on the descriptive approach to identify the most prominent features of the phenomenon under study.

المقدمة

تعد المعتقدات الشعبية جزءا" من الثقافة الشعبية العامة لاي مجتمع، والتي يتم نقلها وأكتسابها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تجعل المعتقدات الشعبية تتوارث جيلا" بعد جيل، وبالنتيجة تتشرب الاجيال المتعاقبة بالمعتقدات الشعبية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وعبر المشاركة الفعلية في الحياة الاجتماعية.

فالمعتقدات الشعبية تعبير دقيق ومعقد للمجتمعات البشرية التي أنتجتها لتكون بالتالي جزءا" أساسيا" من البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات، تعبر عنه في وجوده الماضي وحضوره الأني ومستقبله المرتقب .

وفي هذه الدراسة تناولنا المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل عبر التراث الشعبي الموصلي، فالانسان في الماضي آمن بأن معتقداته الشعبية التي خلقها لنفسه ؛ ترسم له الطريق الامن الذي يتبعه وهي التي علمته وزودته بأسباب البقاء كلها، أي خلقت له نظاما محددا وبالتالي لم يبق لافراد المجتمع سوى استنارة سبل حياتهم الاجتماعية بهدي من معتقداتهم الشعبية، وأن يعملوا على الحفاظ عليها إذا لم نقل تقديسهم لها، ولتحقيق ذلك كان ينبغي عليهم أن يلتزموا بما جاءت به هذه المعتقدات والابتعاد عما حذرت منه.

عاش افراد المجتمع من خلال معتقداتهم توازنا بين عقولهم وارواحهم وحياتهم الواقعية وحافظوا على إنسانيتهم في الوقت الذي تراجع إنسان اليوم إلى حد كبير في قيمه ومعنوياته حينما أعلن أن الحقائق التي يدركها العقل بالبحث العلمي والبرهان الذي لايقبل الشك هي الحقائق الوحيدة الجديرة بالمعرفة.

كما تشكل المعتقدات الشعبية؛ لأي مجتمع مصدرا أساسيا من مصادر الابداع، والنشاط الفكري في الحياة الاجتماعية، إذ تشكل المعتقدات الشعبية في كل أمة عامل أساسي من عوامل وجودها، إذ لايتحقق وجود أي أمة من الامم دون تواصل مع معتقداتها باي صورة من الصور، وفاعلية المعتقدات الشعبية تكمن في دورها في بناء النظام الاجتماعي، والاساس الذي تبنى عليه شخصية أفراده.

فالمعتقدات الشعبية، شأنها شأن أي نوع من أنواع التراث الشعبي، تقع ضمن نطاق (الثقافة التقليدية أو الشعبية)، والقاء الضوء عليها إجتماعيا"، يؤتى عددا" من الثمرات العلمية التي تفيد المشتغلين برسم السياسة الاجتماعية والثقافية، فهي الى جانب القيمة العلمية النظرية، تقدم خدمة تطبيقية علمية لايمكن إنكارها .

وخاصة اذا ما تعلق الأمر بالطفل، فأن تجاهل هذه المعتقدات التي ترتبط بالأطفال الذين يمثلون النواة الاساسية في تشكيل أي مجتمع بشري، يؤدي الى ثغرة تواجه عمليات التخطيط لعمليات التنمية الاجتماعية والبشرية، وبالتالي يؤدي الى عجز هذه التنمية في تحقيق خططها الاستراتيجية وبالتالي تشكل عائقا" أمام النهوض بواقع المجتمع ومستقبله .

وما توصلت إليه الباحثة من الدراسة. تم توزيعه على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول من الدراسة خصصناه للإطار النظري للدراسة ؛ وتناولنا فيه مشكلة البحث، الأهمية، والأهداف والمنهج المتبع، والمفاهيم التي تخص موضوع دراستنا.

وخصصنا المبحث الثاني لدراسة المعتقدات الشعبية وإبرزنا أهميتها .

في المبحث الثالث درسنا المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصلي. وفي الخاتمة قدمنا أهم النتائج التي توصل اليها البحث، وعرضنا أهم التوصيات.

المبحث الأول

عناصر الدراسة وخطواتها المنهجية

أولا":- مشكلة الدراسة:-

إن المعتقدات الشعبية تمثل رمزا من رموز ثقافة الشعوب وعناصرها ومكوناتها، إذ تمارسها الجماعة كما يمارسها الفرد ويطبقها على ما يعيشه من ظواهر وما يصادفه من مشاكل في حياته اليومية والاجتماعية، لتكون أداة من أدوات حلها وتفسيرها في حال ضعف تفسيره العلمي أو المنطقي وبات عاجزا أمامها، والجدير بالذكر بان هذه المعتقدات لايمكن محوها من الحياة الواقعية والاجتماعية لافراد المجتمع، وأن دخل بعضها في دائرة التفكير الخرافي وغير المنطقي.

المعتقدات الشعبية تعد شكلا من أشكال الثقافة التي تميز عموم المجتمعات فهي تتجسد في الأفكار والعادات والتقاليد، مما يجعلها قابلة على الانتقال بقوة العادات الفردية أو الجماعية إلى مرحلة جديدة عبر العصور، يكتسبها أفراد المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية .

من ضمن ماينقل عن طريق الاسرة تلك المعتقدات الشعبية التي تؤمن بها وتعتقد فيها اعتقادا" قويا"، وتحقق لها غايتها وتشبع حاجاتها النفسية والروحية، حيث تبعث تلك المعتقدات الأمان النفسي لأفراد الأسرة، ولهذا تحاول الأسر جاهدة نقل المعتقدات الى أبنائها دون تعديل ودون المساس بقيمتها الجوهرية وبقدسيتها .

وبين أبرز تلك المعتقدات الشعبية والتي تحاول الأسرة الحفاظ عليها وتلقينها، هي تلك المعتقدات التي تخص شريحة مهمة داخل البناء الاسري والاجتماعي، الا هم فئة الأطفال .

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بعدد من التساؤلات منها :-

ماهي أبرز وأهم المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصلي؟ ما المقصود بالمعتقدات الشعبية؟ وما طبيعة هذه المعتقدات الشعبية؟ ماهي الوظائف الاجتماعية والنفسية التي تؤديها المعتقدات الشعبية؟ ماهي الآثار التي تتركها المعتقدات الشعبية على حياة الطفل؟ كيف نفسر استمرار بقاء الحاجة للمعتقدات الشعبية بعد كم التغيرات التي حصلت في المجتمع في الوقت الراهن؟

ثانيا":- أهمية الدراسة:-

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة للكشف عن مضامين المعتقدات الشعبية ، وكيف تؤثر في الحياة الاجتماعية للناس بشكل عام ؛ والموصليون منهم بشكل خاص، إذ أن هذه الدراسة تسهم في التعرف على أحدى جوانب الثقافة الشعبية، وهي (المعتقدات الشعبية)

وعلى الكيفية التي تؤثر فيها على حياة ومستقبل أفراد المجتمع الموصلي. باعتبارها نسقا أجتماعيا ونفسيا"، منفردا بخصائص وسمات معينة.

هذا ما دفعنا إلى إختيار هذا الموضوع لأهميته لهذه الدراسة ؛ نظرا" لأهمية من الناحية العلمية و الاكاديمية، والاجتماعية والنفسية والتاريخية وحتى التنموية والاقتصادية، وتتجلى أهمية الدراسة في مدى الفائدة التي تقدمها للبحوث والدراسات اللاحقة التي تهتم بدراسة جانبي الدراسة والمتمثلين ب :- المعتقدات الشعبية، وبالطفل .

لهذه الدراسة اهميتها الاكاديمية النظرية فضلا عن اهميتها التطبيقية. فمن الناحية الاكاديمية وعلى أساس المنهجية ؛ هذه الدراسة ومن المتوقع أن تكون واحدة من المراجع العلمية التي يلجأ أليها من يريد القراءة أو البحث في نفس الموضوع وعبر أي إختصاص كان. إذ في حال تم اكتشاف صدق أو عدم صدق المقولات النظرية يعد ذلك بحد ذاته موجها" ودليلا" تعتمد عليه الدراسات النظرية اللاحقة في هذا المجال، أما ما يتعلق بالنتائج التي يتم التوصل اليها عبر هذه الدراسة والتوصيات والمقترحات، فانها تفيد في الكيفية التي يتم التعامل بها مع المعتقدات الشعبية واستثمار العناصر المؤثرة منها في عملية وخطط التنمية وما الى ذلك.

عليه يمكننا تحديد أهمية الدراسة بما يأتي:-

١- تتبلور أهمية الدراسة في كونها محاولة من قبل الباحثين لاضافة إسهامة جديدة للدراسات الفولكلورية ؛ وفي جانب مهم من جوانب التراث الشعبي الا هي المعتقدات الشعب.

٢- تتناول جانبا" حيويا" وفعالا" والمتمثل بدراسة الطفل عبر المكون الشعبي، التي تعاني من ندرة الدراسات التي تتناول موضوعات التراث الشعبي في انعكاساتها على بنية وشخصية الطفل.

٣- تعد الدراسة خطوة نرجو أن تسهم في نمو الحركة الأكاديمية في مجال دراسات المأثور الشعبي على المستوى الرسمي في العراق عامة ومدينة الموصل بصفة خاصة.

٤- وتنطلق الاهمية الاجتماعية لهذه الدراسة، من الكيفية التي ترسم بها المعتقدات الشعبية التي يتم تناولها بالبحث والتحليل، الجوانب المهمة في حياة وكيان الطفل .

ثالثا":- أهداف البحث :-

لكل دراسة غرض أو هدف محدد يجعل منها ذات قيمة علمية، ويفهم الهدف من الدراسة على أنه السبب الذي قام من أجله الباحثان بإعداد ومتابعة خطوات البحث العلمي، هو الذي يسعى الى تحقيق أهداف عامة ذات قيمة ودلالة علمية [١].

أن الغرض من هذه الدراسة هو السعى الى معرفة مايأتي :-

١- تحديد دور المعتقدات الشعبية في حياة الفرد الموصلي .

٢- تحديد اهمية المعتقدات الشعبية لدى افراد المجتمع الموصلي.

٣- الوصول الى معرفة علمية دقيقة حول الظاهرة محل الدراسة بعيدا عن المعرفة العامية المنتشرة بين افراد المجتمع الموصلي.

٤- الوقوف على أشكال ونماذج وصور المعتقدات الشعبية المنتشرة بين افراد المجتمع الموصلي الخاصة بالطفل .

رابعا" :- منهج البحث:-

سوف نعتمد في دراستنا هذه المنهج الوصفي – التحليلي، كونه منهجا" يعطي تنوعا" للمعلومات ويحيط بالظاهرة المراد دراستها وصفا" وشرحا" دقيقا" ومفصلا" .

خامسا":- مفاهيم البحث:-

١- المعتقد الشعبي :-

المعتقدات جمع المعتقد من "عقد: العقد: نقيض الحل؛ عقد يعقد عقدا وتعقادا" [٢]، أي الجزم والقطع والتصديق بدون شك، و" أعتقد في الامر اي صدقه وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به، والمعتقد مايعتقد الانسان من أمور الدين" [٣].

وهي الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد كالعقيدة الرواقية[*]، وتطلق في الدين على ما يؤمن به الانسان ويعتقده كوجود الله وبعثه الرسل والعقاب والثواب وغيرها [٤]، كما

---

[١] محمد شفيق، البحث العلمي :الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٨، ص٥٥.

[٢] ابن لفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٩٤، ص٢٩٦.

[٣] المنجد في اللغة دار المشرق، ط٢٣، بيروت، ب. ت، ص٥١٨.

[*] الرواقية :- هي مذهب فلسفي أنشأه الفيلسوف اليوناني زينون السيجومي، وهو يقول: "إن العالم كلٌّ عضويّ، تتخلله قوة الله الفاعلة، وإن رأس الحكمة معرفة هذا الكل، مع التأكيد أن الإنسان لا يستطيع أن يلتمس هذه المعرفة إلاّ إذا كبح جماح عواطفه، وتحرر من الانفعال"

[٤] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص٩٢.

هي مالايقبل الشك في نظر معتقده، والاعتقاد دون العمل [١]، هذا المفهوم قد بين أحد جوانب الاعتقاد لكنه قد اعتبر الاعتقادات مجرد أفكار في عقول أصحابها غير معمول بها، وهذا خطأ فادح فمجرد وجود فكرة معتقد بها غير ممارسة تصبح مجهولة، وبالتالي تبقى في العقل الباطني غير ظاهرة للعيان لهذا الفرد يمارس أعتقاده ليوضحه ويخرجه من الاحساسات الداخلية الى الاحساسات الانفعالية الخارجية،فهي ملازمة للممارسات فأحدهم مكمل للآخر[٢].

والمعتقد أو الاعتقاد : هو مايسلم به الفرد أنه صحيح ويرسخ في تفكيره أو هو فكرة أو توجه غير صحيح اتجاه موقف معين يحاول الفرد إيجاد تبرير أو تفسير له [٣].

الاعتقاد في الشيء : أي التصديق به والايمان به دون أي شك أو ريب، و"أصل الكلمة من أعتقد، والمعتقد والعقيدة، والعقيدة هي الحكم الذي لايقبل الشك فيه لدى معتقده، والاعتقادية يقابلها الوثوقية أو القطيعة والتوكيدية،وهي كل مايدركه العقل للوصول الى اليقين وهي ضد الريبية (أي الشك) والانتقادية، وقد يطلق لفظ الوثوقي والتوكيدي تحكما على من يتعصب لرأي ويسلم به دون تمحيص ويحاول فرضه على غيره دون برهان [٤] . ويقال : عقيدة يعقده عقدا"، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال تعالى: " لايؤاخذكم الله باللغو في ايمنكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمن " (المائدة : ٨٩).

المعتقد اصطلاحا" :- " هو إيمان ناشيء عن مصدر لاشعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافا"، كما وأن العقل غريب عن تكوين المعتقد، ولا يأخذ العقل في تبرير المعتقد الا بعد أن يتم تكوينه " [٥]. "

والمعتقد الشعبي هو ظاهرة أجتماعية تنتج عن تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية وتصوراتهم حول الحياة والوجود وقوى الطبيعة المخيفة والمسيطرة أو المتحكمة في

---

[١] مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ١٩٨٤، ص٢٥١.

[٢] فاتن جواد كاظم الخيكاني، الممارسات والمعتقدات الشعبية حول أضرحة الاؤلياء والصالحين – دراسة ميدانية في مدينة الديوانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٦، ص٢٨.

[٣] ميخائيل أسعد، سيكولوجية الاعتقاد والفكر، النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٩.

[٤] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص٩٢.

[٥] غوستاف لوبون، الاراء والمعتقدات، ترجمة : عادل زعتير، عصير الكتب للنشر والتوزيع، بدون مكان، ٢٠١٨، ص٢٠.

تسيير الحياة الكونية. ولأسباب عديدة أهمها ذلك التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار يصبح المعتقد ذا قوة أمرة قاهرة، فهو يأمر في حالة الايجاب، ويقهر في حالة السلب . وبسبب ذلك أيضا" نرى المعتقد يأخذ طابعا قدسيا روحيا وحتى دينيا، وذلك بوصفه نتاجا حياتيا للأجيال السابقة و بما تحمله من أفكار وبما مارسته من صراع مع قوى الطبيعة وغيرها من القوى، وبما حقنت به نفوسهم من تعاليم وأخلاقيات أملاها حكماؤهم أو رسلهم وزعماؤهم الروحانيون [١].

ونقصد به في دراستنا :-

مجموعة من التصورات والممارسات التي تمارس تجاه الطفل ولأجل حمايته، والتي يؤمن بها أفراد المجتمع الموصلي، بغض النظر فيما إذا كانت معتقدات دينية، أو حتى خرافية، والتي حظيت بقبول أفراد المجتمع وصيرت معتقدات يعتنقها ويؤمن بها أفراد المجتمع، ويمارسونها في حياتهم دون تفكير يدفعهم ذلك قوة أيمانهم وتصديقهم بتلك المعتقدات .

٢- الطفل لغة :من طفل طفولة وطفالة رخص ونعم. والطفل جمع اطفال وطفلات وتعني الصغير في كل شيء يقال يسعى لي في اطفال الحاجات،اي فيما صغر منها [٢]. في حين ان المفهوم الاجتماعي للطفل هو :كائن اجتماعي له حاجات بيولوجية ونفسية واجتماعية ومعرفية يريد اشباعها، منها الحاجة للمعرفة والتعلم والثقافة اذ ينمو التفكير العقلي والادراك من خلال عملية التكيف المستمر بين الفرد والبيئة [٣].

ونقصد به في دراستنا : الكائن البشري الذي يولد في الاسرة الموصلية، ويمثل الملتقى الذي تدور حوله كافة الأشكال والممارسات الاعتقادية وبالتالي فأن هذه المعتقدات الشعبية الدائرة حوله ؛ تتولى تشكيل كافة أشكال السلوك الصادرة عن الأب والأم في مراحل حياة الطفل .

---

[١] محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص٦.

[٢] كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والدب،ط٢،مكتبة لبنان،١٩٨٤،ص ٦١.

[٣] ٨-أكرم البستاني وآخرون،المنجد في اللغة والأعلام،ط٣،دار المشرق،بيروت،١٩٧٣،ص٤٦٧. ٩-المجلة الأجتماعية القومية،المركز القومي للبحوث الأجتماعية والجنائية،المجلد ٤٢، العدد١، القاهرة،٢٠٠٥، ص ٩٤.

المبحث الثاني

المعتقدات الشعبية طبيعتها وماهيتها وانواعها

المعتقدات الشعبية موروثات احتلت عقول الناس . ملاييهم وشغلت حياتهم، وقد شغفت بها نفوسهم وملكت قلوبهم . وصيرت معتقدات، أمسى التسليم بها والخضوع لحكمها، بديهيات ومسلمات لايمكن ان يرقى اليها الشك ولايمكن لتجريح او نقد لينال منها كحقيقة ويقين.

فهكذا من يوم أن أخذت هذه المعتقدات، سبيلها الى قلوب الناس ونفوسهم، عامتهم وخاصتهم، ومن لحظة بداية عمرها الطويل، في تعاقب الاجيال وتداول الازمان، الى ان رسخت في الوعي وأضحت جزءا" مهما" من الوجدان الشعبي ودخلت في عداد مأثوراتنا الشعبية [١].

فالمعتقدات الشعبية ؛ عموما من المأثورات الشعبية التي قيل عنها أنها حفريات تأبى أن تموت [٢]. قديمة قدم وجود الانسان على سطح الارض، حيث أنها وجدت في مناطق عديدة من العالم [٣]، وعادة ماتتألف المعتقدات الشعبية من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه وبين عالم الأنسان [٤]، وتعمل تلك المعتقدات على تحديد سلوك أفراد المجتمع وتطبع عادته وتقاليده بطابع خاص[٥]، ويعملون على نقلها دونما تمحيص؛ بوصفها حقائق ثابتة [٦]، والمعتقدات ليست منعزلة بل لها صلة كبيرة بالقيم الاجتماعية المسيطرة تتنافس معها على المستوى الايديولوجي[٧].

---

[١] عبد الجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الرابع، دائرة الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٩،ص١٢٦.

[٢] فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو ؟ دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٧.

[٣] طه باقر، ديانة البابليين والاشوريين، مجلة سومر، العدد (٢)، بغداد، ١٩٦٤، ص١.

[٤] فراس السواح، دين الانسان، مصدر سابق، ص٤٩.

[٥] عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، الموصل، ١٩٩٣، ص١٠٩.

[٦] نجيب قاقو، من عادات الموصل الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد السابع، السنة الاولى، دار الجمهورية للطباعة، بغداد، ١٩٧٠، ٢٩.

[٧] عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب (١٩٧١- ٢٠٠٤)، بحث انثربولوجي سوسيولوجي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٦٣.

والمعتقدات الشعبية التي يؤمن بها عوام الناس منها مايتعلق ؛ بالعالم الخارجي ومنها مايتعلق بالعالم فوق الطبيعي [١]، كما أن لكل مجتمع معتقداته الخاصة به، والتي لها سمات محددة تنم عن طبيعة الحياة الأجتماعية والطرائق التي يعتمدها الأفراد في أساليب حياتهم وتعاملاتهم اليومية، كونها " تبنى من مواد الحياة اليومية " [٢].

لاشك أن المعتقد بالمحصلة النهائية هو الثقة والايمان المطلق بقوة المعتقد " الشيء المعتقد به الذي يؤثر في مجرى حياة الفرد كإنسان وبالمجموع كبشر لهم إيمانهم " [٣] .

والمعتقدات الشعبية تنقسم الى اقسام عديدة؛ إذ ينطوي تحت المعتقدات الشعبية فروع مختلفة والتي يمكن تقسيمها الى مايأتي :- [٤]

١- الأنطولوجيا الشعبية.
٢- المعتقدات والمعارف المتصلة بالحيوان.
٣- المعتقدات والمعارف المتصلة بالنبات .
٤- الزمن في المعتقد الشعبي .
٥- المعتقدات المتصلة بالأحجار والمعادن.
٦- المعتقدات المتصلة بالأماكن .
٧- المعتقدات والمعارف المتصلة بالإنسان.
٨- الطب الشعبي .
٩- الاحلام.
١٠-السحر.
١١-الكائنات فوق الطبيعية.
١٢-الاولياء .
١٣-المعتقدات المتصلة بالألوان.
١٤-المعتقدات المتصلة بالأعداد.

---

[١] حاتم العبيدي، المعتقدات الشعبية بين الحقيقة والخيال، مطبعة آسيا، كركوك – العراق، ٢٠٠٤، ص٣.

[٢] أشلي مونتاجو، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان، ترجمة: رمسيس لطفي، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٥، ص٢١٥.

[٣] محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص٨.

[٤] محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص٢٢.
عبد الحكيم خليل سيد احمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص٥٣.

١٥-الروح في المعتقد الشعبي .
١٦-الطهارة والنجاسة.
١٧-أوائل الاشياء وأواخرها.
١٨-الاتجاهات.
١٩-النظرة إلى العالم.

إن القائمة يمكن أن تضم عددا هائلا من العناصر التي تكون رصيد المعتقدات الشعبية، وما من أحد يعرف ولو بالتقريب كم من المعتقدات الشعبية التي أنقضى زمنها يمكن أن توجد في أي قطر، لأن تنويعات منها تبتكر بسهولة وعناصر جديدة تصاغ على غرار النماذج القديمة بتداعي التفكير وترابطه، وهذه الصفة الإبداعية للعقل هي التي تفسر بالضبط التشعب الواسع للأفكار البسيطة وتجعل بسهولة المعتقدات والخرافات الشعبية أكثر أنواع الفولكلور المتبقي من العصور السابقة تكاثرا، والتفكير الاقتراني يصور بسهولة تنقل المادة (الفولكورية) من قطر إلى قطر، وسهولة تكيف العناصر المفردة من موقف إلى موقف [١].

وبالعموم ؛ توجد الحياة الشعبية والثقافة الشعبية دائما حيث يخضع الإنسان – كحامل للثقافة – في تفكيره أو شعوره أو تصرفاته لسلطة المجتمع والتراث . وعلاوة على ذلك يوجد في داخل كل إنسان شد وجذب دائمين بين السلوك الشعبي وغير الشعبي، وبذلك يتضح عند كل إنسان موقفان مختلفان أحدهما فردي والآخر شعبي أو جماعي [٢].

كما وتدل صفة " الشعبية " هنا على ما تدل عليه عبارة " الاغاني الشعبية" أو "العادات الشعبية " ألخ، أي أننا نقصد المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي .وليس من الأمور ذات الأهمية الرئيسية – مع أننا نوليها عنايتنا عند الدراسة وفي التحليل – ما إذا كانت هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام، أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية – إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك – ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال، فلم تعد بذلك دينية رسمية بالمعنى الصحيح، أي أنها لاتحظى بقبول وإقرار رجال الدين الرسميين [٣]. وقد كان الشائع أن يطلق عليها في

---

[١] بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الإنسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص٢٤.

[٢] محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، ط١، بدون بلد، ٢٠٠٦، ص٢٦.

[٣] محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص٤٢.

الماضي اسما" ينطوي على حكم قيمي واضح، إذ كانت تسمى خرافات أو خزعبلات . ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسمي، سواء في الخارج أو عندنا . لأن المعتقدات التي تدور حول هذه الموضوعات الغيبية، ولاتتفق وتعاليم الدين الرسمي، لاتستحق من وجهة نظر أصحاب هذا الدين اسم " معتقدات "، فكانت تسمى بهذا الاسم الخاطىء الذي تخلينا عنه اليوم كله [١].

والمعتقدات الشعبية تعد رواسب ثقافية، لها جذور عميقة في الحياة الإنسانية، وهي مسؤولة عن شخصيتنا وسلوكايتنا داخل المجتمع إلى حد كبير ولذلك فهي تتصف بالبقاء وهذا الثبات الذي تتميز به هو الذي يجعلها قيما مشتركة توجه وتسود أفراد المجتمع، وتساعد على خلق شعور بالوحدة والتجانس يزيد من كرامة الجماعة التي تنتشر فيها هذه المعتقدات ويعينها على مواجهة تحديات الحياة الاجتماعية المحيطة بهما كما أنها تساعد الناس، أفرادا وجماعات، على التصدي للمشكلات والصراعات والتوترات الناجمة عن وجودهم في موقف اجتماعي معين، إذ تبعث المعتقدات الشعبية في الناس شعورا بالطمأنينة والأمن في مواجهة المجهول وكثيرا ما اعتمدت في ذلك على ثبات وعمق المعتقدات الدينية لدى الإنسان، حيث أن الدين يرتكز على الإيمان بالغيب كما أن المعتقدات الشعبية تتأصل في سلوك الإنسان وشخصيته بواسطة نفوذ التفكير الغيبي وسطوته على عقول الناس [٢].

" أن احتياج الإنسان إلى الاعتقاد هو عنصر نفسي مسيطر كاللذة والألم فروح الأنسان تمقت الشك، ولاتطيق الارتياب، وإذا تطرق الشك أحيانا" إلى قلب الرجل فذلك لأجل محدود، فالإنسان يفتقر إلى إيمان ديني أو سياسي أو أخلاقي يهيمن عليه ويكفيه عناء التفكير، وإذا تداعى معتقد فذلك ليحل مكانه معتقد آخر، ولاحول للعقل إزاء هذه السنة القاهرة التي لاتتبدل " [٣] .

أول شيء ينبغي علينا ان نقرره بهذا الصدد، هو ان العقيدة ضرورة روحانية تنبثق من ذات الانسان في كل زمان ومكان، سواء كانت العقيدة في شكلها الاول الساذج أو في صورتها المتطورة الراقية، وكما هو " شائع أن يطلق عليها في الماضي اسما ينطوي على حكم قيمي واضح، إذ كانت تسمى خرافات أو خزعبلات . ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسميين، سواء في الخارج أو عندنا . لأن المعتقدات – التي تدور حول هذه الموضوعات الغيبية – ولاتتفق وتعاليم الدين الرسمي، لاتستحق من وجهة نظر

---

[١] محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، مصدر سابق، ص٣٤.

[٢] ينظر : بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الأنسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص٢٠. و ص٢٥.

[٣] غوستاف لوبون، الاراء والمعتقدات، مصدر سابق، ص٢٣.

أصحاب هذا الدين اسم " معتقدات " فكانت تسمى بهذا الاسم الخاطىء الذي تخلينا عنه اليوم كلية " [١].

" ومصدر المعتقدات اللاشعوري وغير الارادي يمنحها قوة عظيمة، فللمعتقدات دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية شأن كبير في التاريخ على الدوام، إذ لاتلبث المعتقدات بعد أن تصير عامة أن تصبح قطوبا" جاذبة تجذب حواليها كيان الشعوب، وتطبع سمتها على كل عنصر من عناصر حضارتها، فتوصف الحضارة حينئذ باسم الدين الذي أوحي إليها، ولذلك كانت أسماء الحضارة البوذية والحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية أسماء صحيحة صائبة إلى الغاية، ومتى صار المعتقد قطب جذب أصبح قطب تغيير أيضا" ؛ لأن عناصر الحياة الاجتماعية المختلفة من فلسفة وفنون وأدب تتبدل لتلتئم به " [٢].

كما ونجد أن المعتقدات الشعبية تظهر عن كل الشعوب والأمم متماثلة ومتقاربة رغم تباعد المسافات وأختلاف الألوان وأشكال الأنظمة والتنظيمات الاجتماعية، وظهور المعتقدات الشعبية في حياة الأمم والشعوب يبرز ويبرر أهمية المعتقدات الشعبية في حياة هذه الشعوب، من خلال ربط الماضي بالحاضر وتجسيدها لضمير الأمة وإعطاء كيان الأمة قيمة معنوية تحافظ على كبريائها من خلال معتقداتها الشعبية الخاصة بها، إنها بهذا المعنى تحافظ على الكيان المستقل للأمة من الذوبان في وسط عائم، خاصة في ظل تأثير عملية التثاقف[*] [٣].

ولابد من الإشارة الى الدور المهم الذي تلعبه ولعبته المعتقدات الشعبية طوال حياة البشرية، " فلقد ظلت المعتقدات طوال قرون عديدة، الأدلاء الوحيدين للإنسانية . فقد وفرت هذه المعتقدات لها، الى جانب التفسيرات السهلة لكل المسائل بطريقة تتماشى وبساطة الناس، دليل سلوك يومي . وسواء كانت مؤقتة أو عابرة فقد شكلت المعتقدات دوما الدوافع الكبرى للفعل البشري" [٤]. فمن مجموع المعتقدات والمشاعر العامة التي يعتنقها جمهرة أعضاء

---

[١] محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص٤٢.

[٢] غوستاف لوبون، الاراء والمعتقدات، مصدر سابق، ص٢٢.

[*] نقصد بالتثاقف هنا، عملية تأثير الثقافات المختلفة في بعضها البعض وهيمنة ثقافة ما على غيرها .

[٣] بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الإنسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص٢٤ – ٢٥ .

[٤] غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات نشؤوها وتطورها، ترجمة : نبيل أبو صعب، ط١، دار الفرقد، سورة – دمشق، ٢٠١٤، ص٢٧٤.

المجتمع والتي تكون نسقا قائما بذاته، يتشكل مايعرف بالشعور الجمعي [١]، " هذا الشعور الذي يؤدي وظيفة مهمة هي الربط بين الأجيال لأن المعتقدات التي تلقن للفرد من طرف المجتمع هي بمثابة حياة المجتمع داخل الفرد، لأن الفرد لايستطيع التخلص من قهرية الظاهرة الاجتماعي لأنها ملزمة له وللجماعة على السواء لأنهم أحرارا في أتباع النظام الاجتماعي أو الخروج عليه، بسبب الجزاء الذي وضعه المجتمع لكل من ينجرف بسلوكه عن قيم الجماعة، وهي القيم التي تغزونا بطريقة لاشعورية حتى تتأصل فينا بسبب سيادة الضمير الجمعي، الذي يستمد سيادته من الحياة المشتركة لأفراد الجماعة الواحدة وهو ماتعبر عنه قوة الروابط التي توجد بين أعضاء المجتمع" [٢] .

" إن العناصر التي يتألف منها كياننا تتصل بثلاثة أنواع من الحياة ... أعني : الحياة العضوية والحياة العاطفية والحياة العقلية، والاحتياج إلى الاعتقاد هو من مظاهر الحياة العاطفية، وهو في قوته وسطوته كالجوع والحب، وبما أن المعتقد هو احتياج مهيمن على طبيعتنا العاطفية، فإنه لايكون إراديا" عقليا"، ولايقدر على تكوينه وتسييره"[٣].

وفي كثير من الأحيان تعد المعتقدات الشعبية المتوارثة عبر الأجيال، وسائل لمواجهة العجز والفشل في تحقيق مرامي الحياة الأجتماعية والسيطرة على متطلبات مواجهة مشاكل الحياة اليومية، حيث يلتجيء إلى ممارسات سلوكية متأثرة بهذه المعتقدات، وذلك في جو ثقافي يسمح باستمرار تلك السلوكيات، وهذا بدوره يساعد في بقائها وتأدية وظيفتها، وهناك من يعبر عن ذلك بقوله : "مهما كانت طبيعة هذه المعتقدات فهي تستمد قوتها من شيوعها وانتشارها، والمعتقدات الشعبية تنتشر تزدهر عن طريق حالة نفسية خاصة بها " [٤].

والمعتقدات الشعبية " ذات جذور عميقة في حياة الناس، كما أن هذه المعتقدات تنهض على أسباب مختلفة ترتبط بنشأتها، وقد تنسى الأسباب، ولكن بقايا هذه المعتقدات تستمر في سيرها مع الزمن، وقد تتخذ اشكالا جديدة لكن الناس يجدون أنفسهم ربما بحكم العادة، أو الرغبة في المحافظة على الميراث الشعبي، أو لغير ذلك من الدوافع، يجدون

---

[١] ينظر : محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، ج١، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٧١، ص٢٨.

[٢] بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الانسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص٢١.

[٣] غوستاف لوبون و الاراء والمعتقدات، مصدر سابق، ٢٤٩.

[٤] بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الانسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص٣. و ص ٢١

أنفسهم ميالين إلى الاهتمام بكثير من مظاهرها " [١]. وقد نفهم هذا القول إذا نظرنا الى التأثير الذي تتركه المعتقدات الشعبية في بنية الشخصية، سواء الفردية أو الشخصية الجماعية الاساسية السائدة في مجتمع ما، فيصعب حينها التخلي عنها وأستبعادها من حياتهم أو رفعها من مخيلتهم ونمط تفكيرهم، حتى لو أنتابهم الشك في مصداقية البعض منها، لأنها تنتمي ألى انظمة أجتماعية لها ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى التاريخية التي حكمت خلقها لتشكل أنماط أجتماعية سائدة وبقوة في حياة الشعوب كافة . وهذا يعني صعوبة التخلي عن معتقد ما حتى لو رافقه الشك في مصداقيته .

والمعتقدات الشعبية تستمر في الوجود وفي التأثير على عقول الناس فينقادون لسلطتها، بسبب أستنادها على مبادىء ونظريات عتيقة وإن تلاشت مظاهرها المبنية عليها، ذلك أن الفرد يعتقد أن رأي الغالبية من الناس أفضل من رأي الأقلية حتى وإن كانت هذه الأغلبية تنتمي إلى عامة الشعب [٢].

والمعتقد بشكل عام له تأثيره النفسي في حياة كل إنسان، ويبرز ذلك من خلال سلوك أجتماعي . فعلى سبيل المثال : أنكسار وعاء زجاجي حتى لو كان ثمينا لايحزن الانسان طالما أن هناك اعتقاد بان الشر قد انكسر أو أن القدر يلطف،لأنه يعتقد أن مصيبة أكبر كانت ستقع، فجاء كسر الوعاء تخفيفا عن المصيبة الغيبية التي يعتقد المرء أنها كانت ستحل. وكثير من هذه الاشكال الاعتقادية تلعب دورها النفسي، وتؤدي في كثير من الاحيان الى تقبل المرء دون حزن، رغم أنها تؤدي الى نتيجة خسران مادي أو معنوي [٣].

كما لايمكننا تجاهل ما في المعتقدات الشعبية من سيطرة على افراد المجتمع ؛ جعلته ينسجم معها، بحيث يشكل حياته وسلوكه وفقا لها، إذ انه لايوجد شعب من الشعوب قديما أم حديثا لم تؤد الجوانب الاعتقادية والروحية دورها في حياته، فلقد فرضت طبيعة الحياة على الانسان، الاحساس بارتباطه بقوى خفية تدبر أمره وتكيف مصيره، وفي ظل هذا الاحساس وصل الانسان الى مداه، وانعدمت قدرته على توجيه الاحداث او التاثير في الظروف، فركن إلى القدرية بوصفها محاولة ذاتية للدفاع عن النفس، والسيطرة على المصير

---

[١] فوزي العنتيل، الفولكلور ماهو؟ دراسات في التراث الشعبي، المطبعة العربية الحديثة، نشر دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ١٩٧٧، ص١٢٨ .

[٢] بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات الشعبية في سلوك الإنسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، مصدر سابق، ص٢٢.

[٣] محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص٢٠.

والالتجاء إلى الولي المنقذ والبحث في الرقى والتعاويذ عن سبيل لحل مأزقه الوجداني، وهذا بطبيعته يبعث على الطمأنينة خلال التحلل من المسؤولية الذاتية، وبالتالي تجنب مشاعر الذنب المتفاقم التي تصاحب بالضرورة الفشل الحياتي، كما أن ذلك العجز عن التصدي العقلاني للمشكلات والأزمات الحياتية يدفع المرء الى النكوص الى المستوى الخرافي والى الحلول السحرية، التي ترسخ التفكير بوصفه محاولة للسيطرة على المصير المجهول [١].

[١] ينظر :- نجلاء عادل حامد، المضامين الاجتماعية للحكاية الشعبية الموصلية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩، ص١٤٢.

المبحث الثالث

المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل في التراث الشعبي الموصلي

نقصد بالمعتقدات الشعبية المرتبطة بالطفل " تلك المعتقدات التي ارتبطت بالوالدين، وبالصيغة الاعتقادية التي يتم التعبير عنها من خلال ممارسات ذات دلالة اعتقادية ؛ والتي تشكل مستوى الوعي السائد عند الوالدين داخل المجتمع، والتي تنقل مدلولاته عبر ممارسات سلوكية ومرويات وحكايات شفهية لأطفالهم بعد ذلك ؛ بما يؤثر في سلوكياتهم ومكونات شخصياتهم في مستقبلهم القريب" [١].

تبدأ الشخصية وبعدها الاجتماعي منذ الرضاعة عندما يبدأ الفرد بتشكيل أساليبه الاعتيادية في التواصل مع الآخرين وانماط تفكيره ومشاعره الخاصة حول الناس وحول نفسه كواحد من الناس وتظهر جوانب الشخصية في السلوك التعبيري الذي يعكس نمو الشخصية بعدد كبير من السبل، فهي أي الشخصية مجموعة من أفكار الفرد ومشاعره وأفعاله التي تعد مميزا" خاصا" له ويتحدد بمقتضاها أسلوبه الخاص في التكيف مع المحيط [٢] .

ومنذ اليوم الاول لولادة الطفل : تبدأ الام – بخاصة – من هذا اليوم باتخاذ تحويطات عديدة لحماية وليدها الجديد، واول واهم تلك التحويطات، هي حمايته من الجن والاشباح. اذ ساد الاعتقاد بانتشار الجن والسعلاة والغول في كل مكان وهي تسرق الرضع اذا تركوا وحدهم في غرفة النوم، ولاسيما في الايام الاولى من حياتهم، او يستبدلهم باطفال آخرين، كأن يستبدل الطفل الجميل بطفل قبيح والابيض بالاسود. وهكذا [٣]. واذا ماتوغلنا في الزمن وجدنا امثال هذا الاعتقاد منتشرا هنا وهناك في ارجاء الارض وعلى طول الزمن الانساني؛ ففي قصيدة سومرية عن العالم السفلي، يقول الشاعر عنهم:

ولايأكلون من الطين المبسوس

ولايشربون الماء الذي يقدم قربانا"،

انهم يأخذون الزوجة من حضن زوجها،

ويأخذون الطفل الرضيع من ثدي مرضعته [٤] .

---

[١] عبد الحكيم خليل سيد أحمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص٢٢.

[٢] مأمون صالح ، الشخصية، مصدر سابق، ص١٤٤.

[٣] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٤.

[٤] صمويل كريمر، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر، تقديم: احمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ب.ت، ص٢٧٨-٢٨٨.

وخوفا" على الوليد من خطفه او اصابته باي اذى تتخذ تلك التحويطات منها:- أنها تضع سكينا" او قطعة حديد تحت فراشه او تعلق في صدره قفلا صغيرا خاصا مع خرزة كبيرة نسبيا" مع عظم مقوس يسمى (سن الذيب).

ان تلك الاشياء، التي تحتفظ بها جداتنا عن جداتهن، كفيلة بحماية الطفل من(غدر الجن) به لخشيتهم من الحديد.

لذلك فليس غريبا ان تحتاط الام لطفلها من الجن. ووضع السكين لاينحصر على الام المسلمة حسب، بل هو مبدأ عام لدى شعوب الارض منذ ان عرفت (حقيقة) الجن وخوارقهم اللامعقولة في دائرة العقل الانساني على الاقل؛ ففي سليبس الجنوبية (كوريا) عندما يحين الوقت الذي تضع فيه المرأة طفلها فان الرسول الذي يذهب ليستدعي الطبيب او الداية ياخذ معه سكينا حادة او اية آلة اخرى مصنوعة من الحديد، وهذه الآلة التي يحملها تمثل روح المرأة التي يعتقد انها تكون اكثر امانا" اذا كانت خارج جسدها في الوقت العصيب، ومن ثم فأن الطبيب ان يحرص على هذه الآلة الا انها متى فقدت، فان روح المرأة تفقد معها، ولهذا فهو يحتفظ بهذه الآلة في بيته حتى تنتهي المرأة من وضع طفلها، وعند ذاك يحمل إليها الوديعة الثمينة، ويتسلم اجره منها.

فالسكينة التي توضع تحت رأس الطفل، لدى مغادرة الام لقضاء بعض مستلزمات العائلة. انما تمثل روح الام الحريصة على حماية طفلها، وجعلت من الحديد باعتبار ان الجن يخافون الحديد، لانه ذو بأس شديد.

ووفق ذلك المنظور يمكن اعتبار حجول (جناجل) ارجل الطفل واساور ايديهم والمعلقات الاخر المصنوعة من الذهب، او اي معدن اخر، يمكن اعتبارها وسائل حماية الطفل اكثر من كونها زينة، لان الاشباح تهرب عند سماع صوت يصدر من معدن من البرونز او الحديد. أو أي معدن اخر. لهذا نرى ان جناجل الاطفال المار ذكرها تجعل فيها اجراس لكي تحدث اصواتا" تبعد بها الجن والاشباح عن الطفل، وللسبب ذاته فانه من المألوف ان يرتدي الاطفال في الاقاليم الجنوبية من بلاد الصين اجراسا صغيرة [1].

وهم يحرصون على جمع غسيل الطفل قبل طلوع النجم، لإعتقادهم أنه إذا طلع النجم والغسيل منشور، فيصاب بألم في ظهره . وبعضهم يعمد إلى تعصيب رأس الطفل، لاعتقادهم أن هذه العصبة "العصابة" "اليازمة " تمنع إتساع جبهة الطفل "كصته" [2].

---

[1] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٤-٥٥.

[2] بتصرف، محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص١٣٢.

ومن المعتقدات والممارسات المتبعة في عموم أنحاء المجتمع العراقي، هي النذور الخاصة بالنساء، حيث تشتري المرأة (الجناجل) الفضة لتهديها الى أحدى المراقد عند (فطم) طفلها، ثم تأخذه الى المرقد لترمي جناجله في الشباك وبعض النساء تعطيها الى السادة أو الخدم[١].

ومن الموروثات التي تلقيناها من عهد سومر وبابل . وضع خرزات زرقاء وخضراء اللون وهو ما يسمى " سبع عيون " وانتهت هذه الخرزات بأن تركب في لباس الاطفال في مكان الكتفين او في مكان من الصدر. لتصد العين الحاسدة ولحمايته من الارواح الشريرة الخبيثة، التي تترصد المواليد الجدد عادة وابتداء وتظل تسعى نحو الصغار، لتغتال رواءها وتأتي على حياتها، لانها موكلة بهذا الامر. فقد وجد القدامى في هذه الخرزات قادرة ان ترد وتصد عدوان عيون قاتلة بلونها الاخضر . وذات المعتقد الموروث عن وادي الرافدين، كان يسود منطقة البحر المتوسط [٢].

وكان من عادات العرب قبل الاسلام، تعلق على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفا" من الخطفة والنظرة (ويقصد بها الحسد)، ويقولون : ان جنية ارادت صبي قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن في ذلك، فقالت تعتذر إليهم:

كان عليه نفرة ثعالب وهرة

والحيض حيض السمرة

ويعني هذا كان عليه ماينفرني منه لان اتعرض له. والسمرة من شجرة الطلح، وحيضها شيء، يسيل من السمر وهو صمغه الذي يسيل منه ينقطون بين عيني النفساء، وخطوا على وجه الصبي خطا"، ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر الدودم، وتسمى هذه الاشياء التي تعلق على الصبي " النفرات" [٣].

ومن تحويطاتهم ان بعض النسوة مازلن يجعلن على الطفل المولود توا" قطعة قماش خفيفة (ململ) حماية له من كل الشرور المتوقعة ولتبعد عنه نظر الحاضرين خاصة اذا كان بينهم غريب عن الاسرة [٤].

وثمة عادة اخرى مازالت متبعة عند بعض الامهات ؛ اذ عندما تضع الام وليدها تأخذه أحدى قريباتها في اليوم الاول او الثاني من عمره وتعبر به جسرا او قنطرة سبع مرات،

---

[١] مهدي حمودي الانصاري، النذور في الكاظمية، مصدر سابق، ص ٦١.

[٢] عبد الجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص١٢٨.

[٣] السيد محمود شكري الالوسي، بلوغ الارب، مصدر سابق، ص٩٥.

[٤] السيدة: خالدة مرعي حسن الحيالي، مواليد الموصل ١٩٥٤، ربة بيت .

لانه – باعتقادهن – يذهب الشر عن الطفل، ومعلوم ان الماء عنصر مهم في الحياة، اذ لجأ اليه في كثير من شؤونه الحياتية وقد الهمه الى جانب القمر والشمس والعواصف والارض وما الى ذلك من الظواهر الكونية والطبيعية [١] ومن المعتقدات السائدة ايضا لدى الامهات في الموصل والتي لاتزال مستمرة، عندما تعبر الام او اي شخص من الاسرة، الطفل من غرفة الى اخرى عند وصولهم الى الانتقال عبر عتبة الباب، يتم ذكر الله والتعوذ بالله من شر الشيطان، لانه وبحسب الاعتقاد السائد، بأن الشياطين تتخذ من عتبة الباب مقرا" لها [٢].

وعلى العموم، فإن الناس في الوسط الشعبي يعتقدون بطهارة الاطفال، كما يعتقدون بصفائهم ونقائهم وبراءتم وصدقهم، فإذا تصادف أن عطس طفل صغير أثناء حديث أحدهم، أستدلوا بذلك على صدق حديثه، فيقولون : "هي بشهادة " [٣].

ومن اعتقادهم ان الابوين اذا رزقا مولودا"، وصادف ان الاب لم يكن موجودا في الدار ساعة وضع الام لجنينها، فلايحق له ان يدخل على وليده لاول مرة، بل عليه الانتظار بباب الدار حتى تحمله اليه من لها علاقة رحيمة او صلة جيرة به فيأخذه منها ويقبله على جبينه ويسير به الى حيث امه فيضعه بين يديها. تلك العملية تطيل في عمر الوليد وتجنبه الشرور والمخاطر.

لعله أراد بذلك ان يقدمه بيده الى (حرأس عتبة الدار) تعظيما لهم وتعريفا به من قبل ان تعبر العتبة، اذ ساد الاعتقاد لدى شعوب مختلفة وعصور مختلفة هي الاخرى بان عتبات الدور لها حراسها وحماتها [٤].

وعند بلوغ الطفل اليوم السابع والثلاثين من عمره يدمغ بالنفط الاسود ومجموعة من الروائح اذ تضع الجدة قليلا من ذلك الخليط في يافوخه وراحتي يديه واسفل قدميه حتى لا (لايشم ريحة وينضر) أي يصيبه ضرر، ثم يغتسل الطفل وأمه في يوم الاربعين لازالة ماسميناه (بالدموغ) [٥].

وبالنسبة للأربعين يوما" الاولى بعد عملية الوضع، فإنها تعتبر هي "الفترة الملائكية" بالنسبة للطفل، حيث تتولى الملائكة حراسته من الارواح الشريرة ومع هذا، فلأبد للام من أن تبقى ملاصقة لطفلها عن قرب، ولاتتركه وحده ابدا" – لئلا تحاصره الشياطين – في حالة ما

---

[١] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص٥٥.

[٢] مقابلة مع السيدة خالدة مرعي حسن الحيالي، ربة بيت، مواليد الموصل ١٩٥٤.

[٣] محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص١٣٣..

[٤] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص٥٦.

[٥] عبد لجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص١٣١

إذا تخلت الملائكة عن حراسته لاي سبب، وإذا أضطرت الأم لترك طفلها لبرهة قصيرة، فلابد من وجود شخص آخر يتولى رعايته، والأ أضر به إخوانه من الجان [١].

أما فيما يرتبط بالحبل السري (المشيمة) والذي يمثل نهاية المرحلة الاولى من العلاقة الجنينية بأمه ؛ فهو يمثل ارتباطا" وثيقا" بالمعتقدات الشعبية لأي مجتمع وقد حمل عبر التاريخ في التقاليد الشعبية دلالات مختلفة تتعلق بمصير المولود ؛ وبما أنها تلخص حياة الطفل فكان لها معتقدات خاصة فيها، ومن ذلك أنه لايجوز أن يقع الحبل السري في أيدي عدو لأنه من الممكن أن يعمل له عملا ما كالسحر، والذي يتسبب في التأثير سلبا" على مستقبل الطفل، لذلك نجد منهم بالقائه في البحر أو النهر، كما يوجد من يعتقد في أهمية إلقائه في محل ذهب مثلا ليقال أنه سيكون غني أو ليكثر رزقه [٢].

ومن اعتقادهم ان ثمة ارتباطا وثيقا" بين سرة الوليد أو مشيمته، عند ولادته او غلفته عند ختانه، وبين حبه للاشياء او مسار حياته المستقبلية، اذا يعتقدون ان دفن سرة الطفل، او غلفته، في فناء مدرسة، مثلا"، ينشأ الطفل ذكيا محبا" للدرس والعلم ومجتهدا" في حياته الدراسية، وقس على ذلك [٣]. ويعتقد الناس في الوسط الشعبي، أن الحبل السري، " السرة"، وبعد إنفصاله عن جسد الطفل، ينبغي أن يلف بخرقة طاهرة . وأن يلقى في باحة مدرسة، كي يصبح الطفل ذكيا"، أو متعلما"، أو يلقى في مسجد، كي يصبح الطفل متدينا تقيا" ورعا، أو يلقونه في سوق الصاغة، كي يعم الخير والثراء هذا الطفل عندما يكبر [٤] .

فبعد أن تسقط صرة الطفل تلفها الجدة بقطعة قماش أو قطن فيأخذها والده ويرميها بالجامع حتى يشب تقيا" متدينا" أو ترمى بالعلوة أو القصاب خانة حتى يتعلم تلك الصنعة أو ترمى بالملة حتى يتعلم القراءة والكتابة ؛ أما البنت فترمى صرتها في البيت حتى تكون أم بيت أو في بيت خياطة حتى تتعلم الخياطة [٥].

هنالك الميل للظهور عندنا جميعا"، ويظهر هذا الميل منذ اليوم الاول في الحياة عندما نطالب بأن يهتم بنا الوالدان، ولهذا سنجد أول المؤشرات على نمو وتطور الرغبة في أن يعترف الجميع بوجودنا، والغرض من هذه المؤشرات هو الحصول على حالة يمكن فيها للفرد

---

[١] عبد الحكيم سيد احمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص٤٠.

[٢] نفس المصدر ، ص٣٦.

[٣] عبد لجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق ص١٣١.

[٤] محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص١٣١.

[٥] عزيز جاسم الحجية، بغداديات، مصدر سابق، ص٤٤.

أن يبدو متفوقا" على البيئة المحيطة [١]، ويقوم الاطفال الرضع خلال احتكاكهم الاجتماعي باستخدام خمسة من أنماط السلوك المؤشرة والموجهة الى وجودهم في المحيط الاجتماعي وهي:- [٢]

١- البكاء والصراخ .

٢- التحديق .

١- الابتسام .

٢- المناغاة.

٣- التقليد.

يمثل الصراخ أول أثر يلقاه الرضيع في محيطه ويبقى خلال الاشهر الاولى السبيل الوحيد الذي يشير الى حاجات الرضيع، ويختلف الصراخ عن أنماط السلوك الاجتماعي الاخرى مثل التحديق والابتسام والمناغاة والتقليد في أنه محزن ويقوم به الفرد نفسه خلافا للأنماط الاخرى فهي مفرحة ويشارك فيها الأهل الرضيع، ومع ذلك فإن الصراخ يجر الوالدين الى سرير الرضيع ويدفعهما للاهتمام به مما يدفع الأخير إلى التوقف عن الصراخ .

وهنا يقوم الطفل بواحد من أكبر اكتشافاته، فهو يلاحظ أن الأشخاص البالغين – بالرغم من أنهم يعاملونه على أنه أقل منهم – مجبرون على خدمته بسبب ضعفه الشديد، وهنا يصبح أمام الطفل احتمالان فقط لاغير، فعليه إما أن يقلد النشاطات والطرق التي يستخدمها البالغون، وإما أن يظهر ضعفه، والذي يفهمه البالغون على أنه مساعد – يطالب بها الطفل – ولايمكن تجنب تقديمها، وسنجد – دائما– أحد هذين الميلين النفسيين في جميع الأطفال . وفي هذه المرحلة المبكرة جدا" فإن الشخصية تبدأ في التشكل، وتبدأ أنواعها المختلفة في الظهور بوضوح، فيبدأ بعض الاطفال في النمو والتطور في اتجاه البحث عن القوة وطلبها ويختار الواحد منهم الظهور في المجتمع من خلال التحلي بالشجاعة والثقة بالنفس، بينما يختار طفل آخر الطريق العكسي، كأن يتأجر بنقاط ضعفه ويحاول إظهارها بشتى الطرق [٣].

والطفل باعتباره كائنا حيا"، تعتريه حاجات بايولوجية، ويبكي الصغار في بواكير حياتهم بسبب الجوع أو الألم والتي لايستطيع الافصاح عنها، الا بالبكاء. ولكن جداتنا لديهن تفسيرا" آخر لهذا البكاء، اذا يعتقدون بان كثرة بكاء الطفل في النهار، وهدوءه في الليل، بانه

---

[١] ألفريد آدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص٨٢.

[٢] مأمون صالح، الشخصية، مصدر سابق، ص١٤٤.

[٣] ألفريد آدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص٤٦.

يحب اباه ولايريد أزعاجه اثناء نومه، ويكره أمه لان بكاءه في النهار يعيق الام عن تدبير شؤون البيت [١].

ويتشاءم من بكاء الطفل بشكل مستمر وكثير، ولهذا ينصح بعدم ترك الطفل يبكي كثيرا" [٢]، والطفل كثير البكاء والذي لايهدأ فأن على أمه القيام بالاتي:-

١- زيارة ضريح علي الهادي[*] :- فيؤخذ الطفل كثير البكاء والذي لايهدأ، فما على الأم الا ان تقوم بأخذه الى ضريح علي الهادي عصر يوم الاربعاء، فتشعل بعض الشموع وتضعها بجانب الضريح وتدور حوله ثلاث مرات بعد قراءة بعض الادعية والصلوات ومن ثم تترك الضريح الى الفناء، حيث يوجد بئر تأخذ منه بعض الماء وتسقيه لطفلها وتعود بعد ذلك الى دارها [٣].

٢- زيارة ضريح موسى القرني [*] :- حيث تقوم الام بتهيئة (قوس ونشاب) فتأخذ طفلها الى الضريح، وتجلس مقابل الباب، وتضع الطفل في حضنها وتضرب بالقوس باتجاه الباب، كي يدخل النشاب داخل الضريح فإذا حصل ما أرادت تقوم الام بقراءة الادعية، ومن ثم تعود الى بيتها، وتكون الزيارة والممارسة يوم الاربعاء عصرا او يبوم الجمعة[٤].

٣- يوضع تحت وسادة الطفل سن ذئب أو ذيل أرنب أو طائر الخفاش (خفاشي)

٤- يعزم للطفل، ويكتب له رقيات وتعاويذ لكي ينام [٥].

---

[١] السيدة: لمعة خليل ابراهيم، مواليد الموصل ١٩٣٨.

[٢] أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي، مصدر سابق، ص٢٤٣.

[*] ضريح أو مشهد علي الهادي :- يقع في محلة الحموديين في الموصل وبه قبر مكتوب عليه (قبر حسين الشريف رحمه الله) واستنادا الى هذه الكتابة يدل ان هذا المشهد لم يكن مشهد علي الهادي وان بدر الدين لؤلؤ اتخذ منه مشهدا للامام علي الهادي.

[٣] فخري حميد القصاب، التقاليد والعادات التي تختص بيوم معين من ايام الاسبوع، مجلة التراث الشعبي، العدد (١)، السنة (٤١)، ٢٠١١، ص٨٦.

[**] موسى القرني :- ويقع ضمن جامع السلطان ويس في محلة المسماة باسمه، الا انه الان غير موجود وقد تهدم وعرف بالاوساط الشعبية بهذا الاسم (القرني) وهو احد الصالحين . سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، تقديم : أبي سعيد الديوه جي، ط١، الدار العربية للموسوعات،بيروت، ٢٠١٤، ص٩٥.

[٤] مثري العاني، من عادات العناية بالطفل قديما، مصدر سابق، ص٧٤.

[٥] عبدالباري عبد الرزاق النجم، ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص٥١٢.

وإن عاش وليدهم الصغير وحان موعد حلاقته الاولى يذهبون به إلى الحلاق ويحلقوا شعر رأسه ثم يوزن الشعر المقصوص بمثل وزنه نقدا" عند الفقراء، أما الميسوري الحال فيوزن بمثل وزنه ذهبا، إلا أن أهالي الموصل قد مارسوا حلاقة الأطفال في البيوت [١]. وكذلك كانوا يحلقون عقيقة الطفل (أي شعر رأسه) في اليوم السابع من ولادته، ويذبحون شاه في هذه المناسبة تسمى (العقيقة)، ثم يوزن الشعر الحليق ويتصدق بوزنه ذهبا" أو فضة أو مادة غذائية كالحلوى مثلا"، ثم يطلون رأسه بشيء من دمها ثم يأخذ الطفل أسمه بعد ذلك، وكان صوف الشاة التي تذبح يسمى عقيقة ايضا"، وهذه التسمية لم ترد عبثا" بل جاءت للتأكيد على الترابط الشديد والامتزاج المفترض الذي يشد اطراف الاربعة الطفل وشعره والعقيقة وصوفها، وقد كان جزء من هذا الصوف يبرم ويجعل منه تميمة تشد في رسخ المولود وتبقى ملازمة له حتى يكبر ويستعد للزواج [٢].

وكلما تقدم العمر بالوليد تعددت صيغ التحويطات، سواء من الجن او من البشر، إذ تخشى الام ممن يتصفون بعيونهم " المالحة "، اي الحاسدة، فتحتاط منها ايما حيطة.

فاذا دخلت أحد الجارات المعروفة بالحسد، إحدى الدور وذكرت احد اطفال الدار، الذي اصبح كبيرا" في نظرها بصورة اعتيادية، او انه يتمتع بصحة جيدة، فاذا ذكرت تلك الاشياء كلها بلهجة المتعجب دون ان تصلي على محمد، اجابتها ربة البيت: " عربيد كدامج... حية وراج ". ولاتكتفي بذلك بل تعمد الى قص قطعة من ملابسها، دون ان تشعر، وترمي بها في النار، او انها تسكب ماء" وراء الحاسدة مع افشالها بكلمات مخجلة... او انها تضع حفنة من حبات الحرمل في النار، وبعد الصلاة على محمد تذكر اسم المراة الحاسدة تلك وتمرر يدها على رأس طفلها خاصة، ورؤوس افراد العائلة عامة فيذهب الشر[٣].

وهناك من يكحل الطفل سواء كان ذكرا أو أنثى ويلبس الذكر ملابس الأنثى حتى لايتأذى من العين الحاسدة . أما إذا كان الولد الوحيد يضعون في أذنه حلقة . وهناك من يلبسه من لباس العالم لمدة سنة كاملة، وكذلك يطولون شعره بحسب المدة التي ينذر لها [٤].

---

[١] سمية العبيدي، ممارسات بغدادية تراثية تتوسط الأطفال، مجلة التراث الشعبي، العدد(٢)، السنة (٤٤)، ٢٠١٣، ص٩٢.

[٢] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبلا الاسلام، ج٥، ط٢، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٨، ص١٦٥.

[٣] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٧.

[٤] عبد الحكيم سيد احمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص٣٩.

وما اشبه الليلة بالبارحة، فكم من طفل نراه في يومنا هذا وقد علقت في صدره انواع المعلقات واحيط بعضها بالذهب. وبذلك يتواصلون مع اسلافهم مهما امتد بهم عمق الزمن ومهما اتسعت بهم الارض، سواء عرفوا ذلك او لم يعرفوا [١].

أما إذا أتضح أن الطفل بطيء النمو وأن وزنه قليل قياسا الى أمثاله او من في عمره من الاطفال فأن هذا الطفل أصبح (مكبوس) والمكبوس أصطلاح تعرفه النساء ينم عن شر حدث للطفل عند ولادته او عندما كانت أمه حاملا به ويستلزم ذلك : [٢]

١- ادخاله في القردول [*] :- تعمل الأم على طلب قردول أحدى صديقاتها او قريباتها وتأتي الى بيتها يوم الجمعة ثم تطلب من أثنين من الحاضرات مسك القردول وفتحه وتدخل الطفل منه ثلاث مرات مع إجراء بعض الادعية وقراءتها.

٢- ادخاله من الشباك:- اذا تبين ان الطفل لم يتحسن نتيجة ادخاله من القردول او ان أمه لم تستطع تهيئة قردول فعليها ادخاله من شباك الدار يوم الجمعة مع الصلاة ويشترط ان تكون فتحة الشباك متجه نحو القبلة فتقوم الام بأدخاله من الشباك ثلاث مرات، وتتم هذه الحالة بأن تقف الام في جهة ثم أحدى النساء في الجهة الثانية من الشباك فتدخله الام أول مرة من جهتها وتستلمه الثانية وتعطيه الى الأم فتدخله وهكذا اي ان المرأة الواقفة مقابل الام لاتدخله من الشباك، فأدخاله محصور بأمه.

واذا تعرض الطفل لشم الروائح الكريهة، يعطى حينئذ " السقوي" ليشربها مع الماء، أما اذا كان صغيرا" فتوضع السقوي بفم الطفل، ثم يحلب في فمه. وتتعرف الأم الى شم الطفل للروائح من ملاحظة شكل ورائحة غائط الطفل. وتفاديا" لوقوع مشاكل للاطفال، فإن أي دار تنزح مرافقها الصحية، تخبر كل الجيران، خاصة إذا كان عندهم صغار، ليبعده عن المكان[٣].

إما إذا مشى الطفل ؛ هذا الحدث المهم المرتقب، والذي يحظى بأهتمام الأسرة والأم على وجه التحديد، " إن النمو النفسي لايحدث الا عندما يكون هناك هدف شخصي، ونحن نعلم أن بناء الهدف يفترض وجود قدرة على التغيير، كما أنه يفترض وجود قدر من حرية الحركة . إن المرء يشعر بثراء روحي ناتج عن حرية الحركة، ولايجوز التقليل ابدا من قيمة

---

[١] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٧.

[٢] مثري العاني، من عادات العناية بالطفل قديما، مصدر سابق، ص٤٦١.

[*] القردول :- قلادة ذهبية على شكل سلسلة.

[٣] عبدالباري عبدالرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص٥١٣.

هذا الثراء الروحي، وعندما يقف الطفل لأول مرة – بدون أي مساعدة من أحد – فإنه يدخل الى عالم جديد تماما عليه، وفي هذه اللحظة نفسها فأنه يشعر بأن الجو المحيط به عدائي، يبدأ الطفل في محاولاته الأولى للحركة، وخاصة عندما يحاول أن ينهض على قدمية ويتعلم المشي، فإنه يواجه مشكلات مختلفة في صعوباتها، وهذه المشكلات إما أن تقوى أمله في المستقبل وإما تحطمه، والانطباعات التي يعتبرها الفرد الراشد عادية أو غير مهمة يمكن أن يكون لها أكبر التأثير على نفسية الطفل، ويمكنها أن تشكل وجهة نظره وتصوره عن العالم الذي يعيش فيه " [1]. هكذا كانت الأم الرفيق الدائم، والشخص المشجع للطفل في كل مناسبات حياته، ولهذا نجدها تغنت بهذا الحدث المهم كثيرا" ونذرت له النذور ؛ والتي تعد واحدة من النذور العديدة المرتبطة بالأطفال، وغدت الصيغ المستعملة في هذا المجال جزءا" من أغانيهم ومايغنى لهم.

ومن بين أغاني ترقيص الطفل التي تتغنى بها الأم الموصلية، لمداعبة وملاعبة طفلها وهي تنذر له نذرا" تحققه عندما يكبر ويصبح قادرا" على المشي.إنها ترجو الله الا يحاسبها على نوعية النذر، لأنها فقيرة الحال، وهذا كل ما تتمكن ان تقدمه من النذر، وكلمات الأغنية تقول:-

لنضغ نضغ يوم تمشي [*]
لذبح خغوف أو كبشي
ياربي لتعاتبني
فقيرة او ما عندي شيء [2].

أما إذا أصبح عمر الطفل سنتين أو أكثر دون أن يمشي فأن هذا يستوجب أيجاد طريقة للاستعجال بمشيته، ومن أجل ذلك فأن الأم تقوم :- [3]

١- وضعه يوم الجمعة بالجامع مشدود القدمين :- تربط الأم قدم الطفل بخيط من قطن وكذلك القدم الثانية وتربطهما سوية بعدها وتضع الطفل في (زنبيل)أو سلة من الخوص وتأخذه يوم الجمعة مع مجموعة من النساء محمولا على الكتف ويذهبن به الى أحد الجوامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة وعند ذهابهم الى الجامع يغنون :

هي ليكم ليكم [**]

---

[1] ألفريد آدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص٥٥.

[*] لنضغ:- أنذر.، نضغ:- نذر.

[2] حسين قدوري، النذور في لعب وأغاني الأطفال الشعبية، مصدر سابق، ص١٢١.

[3] مثري العاني، من عادات العناية بالطفل قديما"، مصدر سابق، ص٤٦٢.

[**] ليكم : أليكم .

كن جا لمقحطل ليكم [***]
قوموا على غجليكم [****]
بنت السلطان تتوحم
وتشدد على عجليكم

وهكذا الى ان يصلن الى الجامع ويضعن الطفل وهو داخل السلة أمام باب المسجد ويبتعدن عنه بعض الشيء ثم ينتظرون خروج أول المصلين وفي هذه الحالة فأن على أول مصلي يخرج من باب المسجد أن يعمل على حل قدميه ويشترط ان تكون اول الخارجين من الصلاة أما إذا لم ينتبه أولهم الى الطفل ولم يقم بحل قدميه فعلى ذويه اخذه الى البيت والعودة به ثانية في جمعة أخرى.

٢- دق الارجل بالجاون [*] :- إذ يؤتى بالطفل يوم الجمعة أو الاربعاء وتقوم أمه بدق قدميه دقا خفيفا داخل الجاون كما تفعل عند دق لحم الكبة لثلاث مرات .

ومن معتقدات أهالي الموصل؛ أنه في حالة تأخر الطفل في النطق تقوم المرأة بوضع إناء فيه ماء في قفص البلبل، وبعد أن يشرب منه تعطي بقية الماء إلى طفلها ليشربه وتفعل ذلك سبعة أيام لاعتقادهم بأن ذلك يساعد الطفل على النطق. [١]

وفي حالة فطام الطفل، الذي يعد مرحلة مهمة في حياة الطفل، إذ أنه ينتقل من الاعتماد على ثدي أمه الى الاعتماد على الغذاء من قبل الاخرين ومايعرضون له. لذا فأن معاناة الطفل في هذه المرحلة الحرجة كبيرة، صعبة وتطرأ عليه الكثير من التغيرات في سلوكه مع أمه أو مع الاخرين نظرا لما يحدثه الحرمان من رضاعة ثدي أمه الذي يعتمد عليه أعتمادا" تاما" في غذائه. وعليه فأن (الأم) التي تفكر في فطام طفلها العمل على تهيئة الظروف الملائمة واختبار الوقت المناسب للقيام بفطام الطفل والتخلص منه وجعله يعتمد على الاخرين ومنهم الام لتلقي غذائه. ومن هذه الظروف والمعتقدات أن لايتم فطام الطفل في فصل الصيف لطول النهار وحتى (لايشوط الطفل) لانه يصبح (زلز) أي كثير الضجر

[***] كن جا المقحطل ليكم : قد اتاكم الذي لايستطيع المشي.

[****] قوموا على غجليكم :- قفوا على أرجلكم.

[*] الجاون:- عبارة عن صخرة مكعبة بطول متر تقريبا وعرض نصف متر مجوفة من الوسط تستعمل لدق لحم الكبة والجريش عند عمل (كبة الموصل) وقد أستغنى عنها منذ زمن لظهور مكائن فرم اللحم.

[١] فردوس عبدالرحمن كريم اللامي،الحياة الاجتماعية في بغداد ١٨٣١-١٩١٧،مصدر سابق، ص٢٥٨.

والتأفف والحركة أو أنه يبدأ يمشي حتى يكون بعيدا" عن أمه في أوقات كثيرة وبين أيدي من يساعدها مما يجعله بعيدا" عن أحضانها وبالتالي بعيدا" عن ثديها [١]. والطفل الذي تريد أمه فطامه وتبدأ بذلك فعلا، والفطام يشكل عقبة أمام الأم بشكل رئيسي والطفل كذلك ولكي تسرع من أجل منعه من رضاعة ثديها فأنها تقوم :-

١- تضع المرأة على حلمة ثديها "صبغ سقطي"أي صبر وهي مادة مرة المذاق، لايتقبلها الطفل، فيعزف عن الثدي، ويفطم [٢].

٢- تعمل له مسحوق البندق مع مسحوق النبات وتضعه في صرة من قماش خفيف وتجعله كحلمة الثدي تضعها في فمه ليلا ليرضعها كما يرضع اطفال اليوم الممة المصنوعة من البلاستيك (المطاط) لهوا [٣].

٣- سلق بيضة وتلونها ببعض الالوان الجميلة وتأخذ طفلها مع مجموعة من نساء الجيران ومعهم البيضة ويذهبن الى الجسر الحديدي أيضا" وعند العبور تطلب الأم من طفلها رمي البيضة في النهر بعد أن تعطيها له وأن لم يقم برميها فأنها تهز يده كي تقع البيضة في النهر وكما أن البيضة لاتعود الى اليد، فهو لايعود الى الثدي . وعندما لم يكن الجسر موجودا فأن عليها أخذه الى حافة النهر وتطلب منه رمي البيضة منها [٤].

اما اذا مرض الطفل بتأثير العين الحاسدة او بارتعاب من حيوان ففي كلا الحالتين، تتبع معه عدة طرق لدفع الاصابة، والاصل الوقاية من الاصابة من خلال : [٥]

١- تزيين الطفل بحلية تضم "سن الذيب" أو "ماشاء الله" بشكل الكف أو ورقة ورد الجنبد.

٢- ان يعلق في رقبته سلسلة تضم بين حليها "عظم الهدهد".

٣- أو يعلق في رقبته "تميمة" من عبق أثار ركاب الخيل.

٤- او يعلق في رقبته ودعة مع العفص بعد تثقيبها لتفقأ عين الحاسد.

٥- تبخير الطفل بحرق بخور مؤلف من مزيج (الحرمل والملح وروث الحيوانات).

---

[١] مثري العاني، عناية الام بطفلها – الفطام– موسوعة الموصل التراثية، المجلد (٢)، مصدر سابق، ص٦١٧.

[٢] عبدالباري عبد الرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص٥١٤.

[٣] عزيز جاسم الحجية، بغداديات، مصدر سابق، ص٤٦.

[٤] مثري العاني، من عادات العناية بالطفل قديما"، مصدر سابق، ص٤٦٣.

[٥] عبد الباري عبد الرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص٥١٨.

٦- أما الطفل المصاب بالعين فعلا" (من وجهة نظر أهله، فيوصف له شب أو رصاص) بأن يذاب الرصاص في إناء خاص، ثم يوضع فوق رأس المصاب غربال فيه خبز وبصل وملح ومكنسة – وأحيانا" حذاء عتيق طغبوشي – ثم يوضع امام الطفل أناء فيه ماء . ومن فوق الغربال يصب الرصاص الذائب على الاناء الذي فيه الماء، فيتصلب الرصاص أخذا" أشكالا" مختلفة، أوتأخذ ام الطفل قطعة من الشب (كبريتات الالمنيوم) وتضعها تحت مخدته في الليل. وعند الصباح تأخذ قطعة الشب تلك وتضعها في النار ثم تخرجها، بعد ان تكون قد تحولت الى هيأة مختلفة عن هيأتها الاولى وتبدأ التحليلات: فاذا كانت تشبه كلبا"، مثلا"، كان الطفل" مخروعا " اي مستفز من كلب، او اذا كانت تشبه شكل انسان شبهته الام بامرأة او رجل بحسب الهيئة التي اتخذتها قطعة الشب، وبعد ذلك تكافح الحسد وفق لمعتقدات واساليب شعبية سائدة.

اما قطعة الشب فتسحق بقدم الطفل المريض ومن ثم يرمى المسحوق في الماء الجاري أو يأخذ الماء ويسكب على مفترق طرق ثلاثة " الثث دغوب " أي ثلاثة دروب فيشفى إذ يذهب الحسد عن الطفل ويتلاشى مفعول الاصابة . وثمة طرق عديدة اخرى (غير الشب) لشفاء مرض الطفل هنا وهناك في كواريس (الفتاح فالية) وفي أدمغة جداتنا، كلها تستمد جذورها من عمق الزمن على طوله وعرضه وتتساوق فيما بينهما على مساحة التفكير الانساني، مما يدلل على الترابط العضوي والموضوعي بين مفردات ذلك التفكير.

وهناك حالة اخرى تواجه الطفل في المراحل الاولى من عمره وهو" الخوف "؛ كان يفاجأ بكلب ينبح عليه او بمرورقطة من امامه بسرعة، او بصوت غير مألوف لديه كصوت طائرة او مدفع وما الى ذلك، فيجفل او يطلقها صرخة مدوية فتهب الام من مكانها مذعورة وهي تقول:

" يس ... بسم الله الرحمن الرحيم ... سور سليمان، قل اعوذ برب الفلق ..." . وبعد ذلك تسكب مقدارا من الماء في مكان جفول الطفل، وتضع في فمه بضع ذرات من السكر وتدعوه ان يبول ايضا".

هنا لابد من وقفة قصيرة لتحليل تلك التحويطات او العلاجات مع ايجاد الروابط الزمانية لها ماأمكن . وقد سلك اسلافنا في تلك التحويطات اساليب اربعة، لعل واحدة منها تنفع الطفل وهي :

الأسلوب الاول:- التعويذ : لجأت الام الى مقاطع ومفردات من القرآن الكريم، " يس .. اسم الله ..." والتي تعني " بسم الله الرحمن الرحيم" او " الاسم الاعظم" لدفع الشر عن وليدها. ومعروف ان الانسان المسلم قد استخدم آي القرآن الكريم، منذ صدر الاسلام، في أمور عديدة. تماما كما كان يفعل الاقدمون في لجوئهم الى الرقى والتعاويذ.

الاسلوب الثاني :- رش الماء: ان رش الماء في مكان الطفل " المستفز " هو امتداد لعقائد الاقدمين من بين البشر باعتبار الماء احد الآلهة التي كان يلجأ اليها الانسان. إذ يلعب الماء الدور الجوهري الأول في مجمل أساطير وفولكلور بلداننا العربية، بلا استثناء، وكان الماء يلعب دورا مهما عند البابليين في التغلب على الارواح الشريرة، باعتباره مضادا لهذه الارواح، كما يعد الماء عدوا لدودا، وسلاحا" ماحقا للجان، فإذا ما وقع الطفل على عتبة البيت، فإنهم يلقون الماء البارد على العتبة، ليبعدوا الجان الذين يسكنون عتبات البيوت – حسب المعتقد – لكي لايؤذوا الطفل [١]، والماء هنا يطفىء النار التي خلق منها الجان، أو يبعدهم ويطردهم ..

الاسلوب الثالث:- سكر الطعام: لقد لجأت الام الى اعطاء الطفل بضع حبات من سكر الطعام.

الاسلوب الرابع:- البول ان دعوة الطفل للبول في المكان الذي استفز فيه انما تعود الى اعتقاد الانسان بانتشار الارواح الشريرة في كل مكان؛ والبول هو احد الوسائل التي يمكن بها درء الخطر عن الانسان، اذ انهن كن يوصين بالبول على عتبة الدار، وعادة ما يكلف بهذه المهمة الاطفال، او الصبيان، لاعتقادهن بان انحباس الرزق ربما كان بفعل سحر "معمول" لتلك العائلة، والبول يزيل السحر لتشابه نجاستهما [٢] . ولهذا نجد المعتقد الشعبي يحذر الآباء والأمهات من ضرب الاولاد ليلا، لكيلا "يلمسهم" أفراد الجان، أي حتى لايصيبهم مس من الجن، أو الجنون، ويحذرون المرء كذلك –لاسيما الأطفال – من النظر في المرآة ليلا، خشسية أن تؤذيهم الجان، كما لايحبذون صراخ الاطفال أثناء الليل، لأن ذلك من شأنه أن يزعج الجان فيؤذون الأطفال وبشكل عام فإن هناك إعتقادا بأن الأشباح والجنيات، تستأنف نشاطها عند نشاطها عند منتصف الليل، ففي الساعة تموت الاشياء، وتهيمن روح الصمت على الكائنات [٣]، ويروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " إذا استجنح الليل، أو كان جنح الليل، كفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ " [٤].

واذا ماصيب الطفل بمرض أبو صفار (اليرقان) ومن أجل تخفيف اعبائه وتعجيل شفاء الطفل منه، فيعالج بواحدة أو أكثر من الطرق الاتية :-

١- توضع في رقبة الطفل سلسلة تتدلى منها خرزة شيح صفراء بعد العزامة .

---

[١] ينظر :- محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص٤٠-٤٢.

[٢] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص ٥٧.

[٣] محمد توفيق السهلي وحسن الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، مصدر سابق، ص٨٠ .

[٤] الاسلام سؤال وجواب https://islamqa.info/ar/answers

٢- أو توضع خرزة الشيح في أناء فيه حليب، ثم يسقى هذا الحليب جرعات.
٣- يسقى الطفل (حسب عمره) من ماء عين كبريت، على الريق لمدة ثلاثة أيام.
٤- تثقب أذن المصاب من أعلاها، ويعقد خيط فيها.
٥- توضع سمكة حية في أناء، ويطلب من الطفل التحديق في الاناء طويلا".
٦- يقص أبو صفار، باحداث خدوش وراء الاذن بأبرة أو برأس سكين حادة، وبعد ان يسيل الدم يكبد الجرح أو يدهن بالدباغ المطحون والمخلوط مع الملح [١].
٧- تأتي الام بقطعة قماش تلف بها بعض الثوم وتعلقها بثياب الطفل، اعتقادا" منها بأن الثوم يعالج الطفل ومتى ما يتيبس الثوم المحمول بثياب الطفل، حينها يكون الطفل قد تماثل للشفاء التام [٢].

ويعتقدون ان الطفل المصاب بالمرض المعروف بـ" الفالول" نتيجة عده للنجوم في السماء، لذلك فهم (بخاصة النساء منهم) يحذرون الاطفال من القيام بتلك العملية [٣]. أما الطفل المشهولة عينه، بسبب رفعه الى الاعلى من يد واحدة، يتم علاجه، بأن ترفع بلاعيم الطفل بالابهام والسبابة، وهناك نسوة متخصصات لهذه الغاية [٤].

وكما انهم عرفوا سبب حدوث الفالول وانتشاره في جسم الانسان فقد عرفوا ايضا"، طرق مكافحته وهو ان يمسح على الفالول بقطعة من الباذنجان وتاخذ وتعلق في احد ابواب البيت وتترك حتى تجف، ويكون ذلك هو العلاج الشافي من الفالول[٥].

أما اذا كان الطفل مشاكسا" (حرك) فان جداتنا اوصين بان يوضع في مكان تمر به قطيع من الماشية (الاغنام او الابقار) . ومن ان يمر القطيع وهي تبتعد عن الطفل. فتردد الام قائلة : " ياعجاجة خذي اللجاجا " . وهكذ يكون قد تم تخفيف حدة مشاكسة الطفل والحاحه في طلب كل شيء [٦].

---

[١] عبدالباري عبد الرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص٥١٦.
[٢] السيدة: خالدة مرعي حسن الحيالي، مواليد الموصل ١٩٥٤.
[٣] علي الفاتل، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص٥٩.
[٤] عبدالباري عبدالرزاق النجم، من ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص٥١٧.
[٥] السيدة: الهام فيصل، مواليد الموصل ١٩٥٩، ومن سكنة محافظة دهوك، ربة بيت، وتقول بانها تعلمت هذه الطريقة عن والدتها السيدة صفية حامد مواليد الموصل ١٩٣٨.
[٦] السيدة: خالدة مرعي حسن الحيالي، مواليد الموصل ١٩٥٤.

واعتقد ان للرعب دخلا" في ذلك؛ اذ ان الطفل يرتعب ويخاف من اعداد الحيوانات فيحاول ترك المشاكسة حتى لايتعرض لمواجهة هذا الموقف مرة ثانية. ويمكن ان يقال انه علاج طبيعي – نفسي.

اما اذا ارادت الام حمل الطفل لتنيمه في مكانه المخصص له فما عليها – وهي تنحني عليه لتحمله – الا ان تقول : " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم تحمله.

والمرجح ان البسملة، هنا، لها علاقة بالجن والاشباح، اذ ان الجن – كما هو متعارف عليه لدى العامة – يخافون اسم الله، وبخاصة حرف السين منها.

فذكر البسملة يطرد الجن عن الاطفال الذين يكونون محيطين به، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ان البسملة قد تكون اشارة تمهيدية لعل النائم يلتفت اليها فلا يوقظ من نومه اثناء حمله بشكل مفاجيء لان الايقاظ المفاجيء قد يصيبه بالذعر فتكون له مضاعفات سلبية على حياته.

وقد يعاني الطفل من بعض المصاعب في التسنين، ولكن ابهام الأب تلعب دورا" كبيرا" في تذليل الصعوبات التي تعترضه؛ ففي اول علامة لظهور السن من تحت غشاء رقيق في اللثة تطلب الأم من الأب، ان يمرر ابهام يده على لثة الطفل بشكل افقي فذلك يعجل بظهور السن دونما صعوبة.

لعل خشونة يد الاب " العامل " أو " الفلاح" تساعد في ترقيق اللثة فتظهر السن. وفي وقتنا الحاضر تصنع حلقة مطاط خاصة يلوكها الطفل قبل تطليع اسنانه فتساعده على سرعة تطليعها.

واذا ما تكاملت هذه الاسنان اللبنية تبدأ الاسنان الثابتة بالنمو فتسقط الاسنان اللبنية، الواحدة أثر الاخرى بالتدريج. وهنا ينصح اسلافنا الطفل ان يحمل سنه المقلوعة بيده ويقف قبالة الشمس ويقذفها باتجاه قرصها . [1]وهو يخاطبه بقوله :" خذي سن الجحش واعطيني سن الغزال ". اي ان سنه اللبنية، اصبحت غير جميلة ولاتناسب منظر فمه، ويريد استبدالها بأسنان جميلة كسن الغزال الناعمة .

ومادمنا بصدد الحديث عن الاسنان، أرى من المناسب الحديث عن حالة تنتاب بعض الاطفال وهي عملية صك الاسنان ببعضها فينتج عنها صوت، ترتعب منه الامهات لانها علامة تدل على الشؤم ووقوع مكروه لاحد افراد الاسرة، ويعنى بذلك " الموت".

[1] علي الفتال، الطفل في الموروث الشعبي، مصدر سابق، ص٦١.

وفي الاعتقاد بان جسم الانسان يطول على مراحل، وفي كل مرة تطول فيه قامة الطفل، يتعرض لآلم في مفصل الحوض يطلق عليه أهل الموصل " شب الطول "، وكانت الام تعمل على تدليك مفصل الطفل لتخيفيف الالم عنه [١].

ومن عادة الاطفال تقليد آبائهم وامهاتهم في حركاتهم او بعض فعالياتهم، ومن هذا القبيل تقليد الطفلة لامها في الكنس، فتمسك بالمكنسة وتحاول الكنس بشكل يثير الضحك، فاذا رأتها امها قالت:- " خير. يجونة خطار " اذ ان الكنس من قبل الطفلة ايذان بقدوم زوار الى تلك الدار – في اعتقادهم – ولعل ذلك يعود الى اعتبارين:-

الاول:- أن الطفلة، بطبيعتها البرئية، توحي الى الاهل بذلك.

الثاني:- ان تنظيف الدور يعد من مستلزمات استقبال الضيوف.

على ان للصدفة دورا" في ترسيخ هذا الاعتقاد في الاغلب [٢].

أما ختان (طهور) الطفل :- إن الختان / الذبح الأصغر للعضو التناسلي / هو بمعنى طهور بالدم، وبمعنى اخر تطهر من الدم . لذلك، فإن الرجل لا يعتبر طاهرا – في الأوساط الإسلامية – الا إذا أجريت له عملية الختان، التي تسمى أيضا " الطهور " بمعنى " التطهر "[٣].

والطهور " عملية جراحية لإزالة جزء من القلفة، وهي عادة شائعة في كثير من أرجاء العالم . وتتم عملية الختان في الغالب قبل سن البلوغ. وثمة معتقدات كثيرة تدور حول الختان ؛ فيذهب البعض إلى أن عملية الختان قربان لآلهة الخصوبة، ويقول البعض الآخر إنها اختبار للقدرة على احتمال الألم، ويرى آخرون أن الختان تمييز اجتماعي للمختونين عن غيرهم، وأن المختون يتجنب الخطر الكامن في مباشرة العملية الجنسية بالتضحية بجزء في سبيل الكل، ويذهب البعض إلى أن الختان إجراء صحي، وكان الختان من سنن العرب في الجاهلية . وورد ذكر الختان في الأحاديث الشريفة، مع تقليم الأظافر والخلالة، وقص الشارب وإعفاء اللحية " [٤].

وهي من أحلى وأجمل المناسبات لدى الموصليين كافة حيث تجري الاستعدادات اللازمة بها مسبقا منذ فترة طويلة حينما تقع النية الطيبة لدى العائلة جميعا" ويختار الجميع

---

[١] السيدة: لمعة خليل ابراهيم، مواليد الموصل ١٩٣٨.

[٢] عبد لجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مجلة التراث الشعبي، مصدر سابق، ص١٣١.

[٣] محمد توفيق السهلي وحسن الباش، مصدر سابق، ص١٣٢.

[٤] عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مصدر سابق، ص٢٧٦.

أحد الربيعين في الموصل (لأنها أم الربيعين) وهما فصلا الربيع والخريف حيث يعتدل الجو ويطيب الطقس (المناخ) [١].

فقد جرت العادة بين الناس في بعض الاقطار على الاحتفال بختان الولد ؛ فيلبس الصبي ملابس ثمينة، ويطوف به أهله في الطرقات على ظهر جواد، ويحف به من الجانبين رجال حتى لايسقط من فوق ظهر الجواد، وينعشونه بما يحملون من مناديل معطرة، ويسير في موكب تتقدمه الطبول والدفوف، ويزفون الصبي بالأغاني التي تردد في هذه المناسبة، ويطلقون حوله البخور من مجمرة تتأجج بفحم الخشب . ويلجأ بعض الناس إلى إلباس الصبي ملابس فاخرة، ويغطون جانبا" من وجهه بمنديل إتقاء لعين الحسود، وقد تنحر بعض الذبائح في هذه المناسبة ويوزع لحمها على الفقراء [٢].

ويتم خياطة الدشداشة البيضاء (الجلابية) الجميلة للطفل المراد ختانه وترصع صدر الدشداشة بنجوم ذهبية يخيط بها هلال ذهبي اذا كان والد الطفل ميسور الحال وتهيأ الحلويات من (البقلاوة والشكرلمة والقيمر) وتتم كذلك عملية ختان أطفال فقراء على حساب والد الطفل الميسور الحال حيث يصاحب هذا الاحتفال أغاني وأهازيج خاصة بالمناسبة مع دبكات شعبية معروفة لدى الجميع[٣] . ومن معتقدات سكان الموصل في هذه الحالة :- [٤]

١- تستخدم ضمادات تتالف من رماد التنور اورماد المنقل النظيف بعد نخله وتحويله الى مسحوق طري .

٢- ثم أذ " الاسطوات"، يستخدمون " الاضغوغ" وهي خلطة عطارية تتالف من نبات العفص الذي ينتقى بشكل جيد، ثم يغلى بالماء لتعقيمه، ثم يدق وينخل، ويضاف اليه نبات الاخين (دم الاخوين) ونبات البلوط، وتدق هذه المواد دقا" ناعما" - وقد يضاف اليها احيانا"- مسحوق السماق ثم يعمل منه لبيخة، توضع على خرقة نظيفة ويلف بها احليل المختون، فلا تنخلع حتى يشفى الطفل .

٣- أخذ الطفل الى حمام العليل لتسبيحه بالمياه المعدنية الحارة، لكي يتكبد الجرح، ويسهل نزع اللفافة، وإذا تعذر ذلك، فيأخذ الطفل الى الحمام العمومي.

---

[١] ابراهيم سليمان نادر، الملابس الشعبية الموصلية أيام زمان، موسوعة الموصل التراثية، المجلد(٢)، مصدر سابق، ص٥٤٣

[٢] عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مصدر سابق، ص٢٧٧.

[٣] ابراهيم سليمان نادر، الملابس الشعبية الموصلية أيام زمان، مصدر سابق، ص٥٤٣.

[٤] عبد الباري عبد الرزاق النجم، ملامح الطب الشعبي في الموصل، مصدر سابق، ص٥١٧.

كما وتزداد معاناة الأم وخوفها على طفلها ؛ كلما تقدم به العمر، وخاصة اذا بدأ أول رحلاته خارج الدار للعب مع رفاقه في أزقة المحلة، وتترك الأم الطفل للعب مع الصغار؛ عادة الى حلول الظلام ولايمكن ان يخرجوا أثناء الليل مطلقا" لخوفهم من زمزم القبور،[*]أو الدامية،[**]أو شلاع القلوب [***] [١].

كل ما تقدم ذكره يعد من أبرز وأهم المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل، تترك بصماتها الواضحة على الشخصية، فإن " شخصية الفرد لايمكن فهمها الا عندما تكون في بيئتها الاجتماعية فقط، وعندها يمكننا أن نقيم موقف هذا الفرد ووضعه في العالم، وكلمة وضع هنا تعني مكان الفرد بين الاشياء المختلفة وموقفه Attitude تجاه البيئة المحيطة به ومشكلات الحياة الثلاث (العمل، والعلاقة مع باقي أفراد المجتمع، والزواج)، وبهذه الطريقة نستطيع أن نحدد الانطباعات التي يأخذها كل فرد منذ لحظة مولده، وكيف تؤثر على موقفه خلال الحياة، بل إننا نستطيع أن نحدد وضع الطفل وموقفه من الحياة بعد الشهور الأولى من الميلاد . أنه من المستحيل الخلط بين سلوك أثنين من الاطفال الرضع بعد مرور هذه الفترة، لأنهما يظهران سلوكا مختلفا تماما في نمطه، وتزداد هذه الفروق بين النمطين مع النمو، ويكون اختلاف وخروج الفرد عن هذا النمط هو أمر غير وارد ابدا" [٢].

---

[*] زمزم القبور :- حيوان على شكل ثعلب يعيش بين القبور وفي البراري يقال اذا تعرض له شخص قضم ذكره؛ ويطلق عليه اسم الواوي.

[**] الدامية :- وهي السعلاة الوارد ذكرها في الاساطير تشبه بالمرأة الضخمة الجثة ذات ارجل من (خربق) يقال ان زوجها يسمى (الديو). (وسيأتي ذكرها في الفصول القادمة).

[***] شلاع القلوب:- شبح وهمي تستعمله الامهات لاخافة اولادها.

[١] عبدالوهاب النعيمي، قناطر الموصل في الأساطير الشعبية، مصدر سابق، ص٧٣.

[٢] ألفريد آدلر، الطبيعة البشرية، مصدر سابق، ص٥٣.

الخاتمة

أولا":- النتائج

في ضوء ما تقدم يتضح لنا ما يأتي :-

١- إن المعتقدات الشعبية تمثل رمزا من رموز ثقافة الشعوب وعناصرها ومكوناتها، إذ تمارسها الجماعة كما يمارسها الفرد ويطبقها على ما يعيشه من ظواهر وما يصادفه من مشاكل في حياته اليومية والاجتماعية.

٢- تعمل تلك المعتقدات على تحديد سلوك أفراد المجتمع وتطبع عادته وتقاليده بطابع خاص، ويعملون على نقلها دونما تمحيص؛ بوصفها حقائق ثابتة.

٣- والمعتقدات الشعبية تعد رواسب ثقافية، لها جذور عميقة في الحياة الإنسانية، وهي مسؤولة عن شخصيتنا وسلوكايتنا داخل المجتمع إلى حد كبير ولذلك فهي تتصف بالبقاء.

٤- المعتقدات الشعبية تشكل نسقا" منتظما" ومتكاملا" تؤدي وظائف عديدة في إطار ثقافة المجتمع، يتم تناقلها عبر الأجيال، لما تسهم به في إشباع حاجات نفسية واجتماعية .

٥- تجاهل هذه المعتقدات خلال التخطيط لعمليات التنمية يؤدي الى عجز هذه التنمية في ان تحقق ثمارها .

٦- الطفولة مصطلح يربطه العلماء بمعيار العمر الزمني لحياة الأنسان .

٧- من اهم سمات المعتقدات الشعبية المرتبطة بالطفل أنها فطرية ومتوارثة، تصبح بالتدريج سمات مكتسبة عبر عملية التنشئة الاجتماعية .

٨- المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل ترتبط بحياة الأسرة ككل في إطار الموروث الثقافي الخاص بها، حيث يساعدها على اشباع حاجاتها الاجتماعية والنفسية والروحية .

٩- كثير من الأسر تحاول جاهدة نقل المعتقدات الشعبية الى أبنائها دون تعديل أو مساس بقدسيتها، بما يمثل في جوهره عملية صياغة الثقافة للفرد أو نقل التراث الثقافي والاجتماعي أليهم .

١٠-تتنوع المعتقدات الشعبية الخاصة بالطفل بشكل كبير ؛ لتشمل العديد من صور الممارسات الاعتقادية التي تقوم بها الأسرة تجاه الطفل وعبر مختلف مراحل حياة طفولته .

ثانيا":- التوصيات

بناء" على ما جاءت به الدراسة من نتائج، يوصي الباحثان بما يأتي:.

١- أدخال بعض من عناصر التراث الشعبي العراقي، خاصة ما يتعلق بالتربية والتنشئة الاجتماعية، في المناهج التعليمية.

٢- تعزيز التراث الشعبي العراقي، بشقيه المادي والمعنوي، تعزيزاً موضوعياً، والتركيز على ما يتصل بالأمومة والطفولة، وكل كافة المستويات (التربوية، الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية).

٣- تشكيل لجنة خبراء من الباحثين، ذوي الخبرة الميدانية في جميع مواد التراث الشعبي، ليضع هؤلاء مخطط لحملة جمع الأمثال الشعبية العراقية، وتوثيقها لتدارك أحتمال تلاشيها وزوالها، بحكم الزمن وتغيير أساليب الحياة المتسارع .

ثالثا : المقترحات

يقترح الباحثان ما يأتي:.

١- إجراء مؤتمر او ندوة علمية مبسطة، تتناول موضوع "بناء شخصية الطفل وكيفية تنميتها نحو الأفضل " ودعوة الامهات ومن كافة الطبقات الاجتماعية، والمستويات العمرية، لحضورها، أضافة الى بث وقائعها وبشكل مباشر عبر القنوات المسموعة والمرئية، لتنبيه الامهات والاسرة بشكل عام، لخطورة واهمية الدور الذي تلعبه الأم، وافراد الأسرة، في تشكيل شخصية الطفل، والنمو العقلي والاجتماعي والمعرفي والانفعالي للطفل.

٢- دراسة تأثير المعتقدات الشعبية وتأثيرها في قضايا بناء وتنمية وصقل شخصية أفراد المجتمع العراقي ككل، وبشكل مفصل، وعبر سلسلة من البحوث والدراسات، ومن قبل كافة الاختصاصات العلمية.

ثبت المصادر

- ابن لفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٩٤.
- الاسلام سؤال وجواب https://islamqa.info/ar/answers
- أشلي مونتاجو، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان، ترجمة: رمسيس لطفي، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٥.
- أكرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، ط٣، دار المشرق، بيروت،١٩٧٣.
- بن الشيخ عبد الحميد، أثر المعتقدات في سلوك الانسان الجزائري المعاصر دراسة ميدانية لعينة من المثقفين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠١٥.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبلا الاسلام، ج٥، ط٢، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٨.
- حاتم العبيدي، المعتقدات الشعبية بين الحقيقة والخيال، مطبعة آسيا، كركوك – العراق، ٢٠٠٤.
- سمية العبيدي، ممارسات بغدادية تراثية تتوسط الأطفال، مجلة التراث الشعبي، العدد(٢)، السنة (٤٤)، ٢٠١٣.
- صمويل كريمر، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر، تقديم: احمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ب.ت.
- طه باقر، ديانة البابليين والاشوريين، مجلة سومر، العدد (٢)، بغداد، ١٩٦٤.
- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، الموصل، ١٩٩٣.
- عبد الجبار الهموندي، في المعتقدات الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الرابع، دائرة الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٩.
- عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب (١٩٧١– ٢٠٠٤)، بحث انثربولوجي سوسيولوجي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
- غوستاف لوبون، الاراء والمعتقدات، ترجمة : عادل زعتير، عصير الكتب للنشر والتوزيع، بدون مكان، ٢٠١٨,١٧–غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات نشؤوها وتطورها، ترجمة : نبيل أبو صعب، ط١، دار الفرقد، سورة – دمشق، ٢٠١٤.

- فاتن جواد كاظم الخيكاني، الممارسات والمعتقدات الشعبية حول أضرحة الاؤلياء والصالحين – دراسة ميدانية في مدينة الديوانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٦.
- فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو ؟ دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤ .
- فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، المطبعة العربية الحديثة، نشر دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ١٩٧٧.
- كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والدب،ط٢،مكتبة لبنان،١٩٨٤ .
- مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ١٩٨٤.
- محمد شفيق، البحث العلمي :الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٨.
- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، ج١، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٧١.
- المنجد في اللغة دار المشرق، ط٢٣، بيروت، ب. ت.
- ميخائيل أسعد، سيكولوجية الاعتقاد والفكر، النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨.
- نجلاء عادل حامد، المضامين الاجتماعية للحكاية الشعبية الموصلية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩.
- نجيب قاقو، من عادات الموصل الشعبية، مجلة التراث الشعبي، العدد السابع، السنة الاولى، دار الجمهورية للطباعة، بغداد، ١٩٧٠.